سرقة الشمس

أخيرًا، استطاع وليد أن يسرق سيكارتين من علبة سكائر أبيه من دون أن يراه أحد. فما أن انتهى أهله من تناول طعامهم، وخرجوا ليغسلوا أيديهم حتى مدَّ يده إلى جيب الجاكيت المعلق، تناول سيكارتين بسرعة البرق ورماهما في عبه. بحث بعدها عن علبة الكبريت في المطبخ، لكنه لم يجدها، فاضطر للعودة والقيام بمغامرة أخرى سريعة والتخطيط لسرقة علبة الكبريت من جانب المدفأة في أوضة المعيشة حيث الجميع يشربون الشاي بعد الغداء.

ولكن.. لا مجال للتفكير في خطة جديدة فالوقت ضيق، سيحاول أن يتعامل مع الوضع، ربما يضطر إلى استخدام جزء من مخزون الفتيش والكبسون والصوايخ المخبأ للعيد، أو... سوف يدخل ويتجه إلى المدفأة مباشرة مدعيا أنه بردان... لكن لا، لن يتركوه يخرج... ماذا سيفعل إذن؟ آه لو كان يملك طاقية إخفاء!

الوقت يمضي ولا مجال للتفكير، اقترب من الباب وفتحه بهدوء شديد، انسل كأفعى حتى لا يشعر به أحد، تفاجأ، لم يكن هناك أحد! اين هم؟! همهم.. هذا يفسر الأصوات القادمة من الصالون، لقد غافله الجميع وانتقلوا إلى هناك.

حصل على علبة الكبريت بسهولة كبيرة ومن غير خطة حتى. أخذها وأسرع إلى السطح انحنى عند مروره أمام شباك الصالون حتى لا يراه أبوه فيناديه.

كان عماد ينتظره بفارغ الصبر في مكان قصيٍّ آمن، فقد صنع من السحاحير القديمة حاجزا يحجب الرؤية إذا ما فكر أحد أن يباغتهم،

وكان يشعر بالملل الشديد لطول الانتظار، وما أن أطل وليد راكضا حتى فتح عينية وهمس بحماس:

- شو؟

رفع وليد كنزته بكلتا يديه حتى تجاوزت رأسه وظهر كل بطنه وصدره، فسقطت السيكارتان تحت مفاجأة ودهشة عماد الكبيرة، وسادت فرحة شديدة.

إلا أن الفرحة الشديدة لم تستطع أن تؤجل مباشرتهما السريعة بالتدخين. أشعل كل واحد سيكارته وصارا يقلدان الكبار ويُظهِر أحدُهما للآخر مهارته في وضع السيكارة بين أصابعه، ثم من يستطيع أن يُخرِج الدخان من أنفه، أخذ وليد يسعل بشدة، صار موضع سخرية عماد الذي نفَّذ الأمر بسهولة ومن دون أن يسعل حتى، تمادى الأخير في مباهاته بنفسه وادعى بأنه يستطيع أن يخرج الدخان من أذنيه؛ حاول، ثم حاول، لكنه فشل.

غير أنه بارع في تغطية فشله، جحظ عينيه بوجه وليد، ثم قال:
- شفت؟
- شو؟
- ما شفت الدخان شلون طلع من دينتي؟ ... انت أعمى؟
- أعمى ... طيب ... متل ما بدك؟

نظر عماد فيما حوله ليغير الموضوع، فرأى الشمس التي كانت تميل عند آخر البيوت وتتهيأ للسقوط، تحول إلى أخيه الذي ما زال يعب من السيكارة، فبدأ الحديث بشيء من الاستهتار، وضع يده في جيبه وصار يلوح بسيكارته، وراح يتكلم بعد أن سرَّب ضحكة استهزاء:

- بتعرف وين بتنزل الشمس؟

جاوب وليد وهو ما زال مشغولا بالتدخين ومن دون أن يفكر:

- أنا بكره الليل!

جحظ عماد عينيه، وتحولت نبرته إلى الأسلوب المشوق لتثير في وليد رغبة في الاستماع:

- ولك بتنزل بجنبنة بيت الخطيب
- بجنينة بيت الخطيب؟!
- إيه... بجنينة بيت الخطيب
- طيب شو عرفك؟ ... انت شفتها شي؟
- لكان ... هي متل الفطبول بس أكبر منو بتطلع هَـ الأد!

وفتح يديه بأقصى ما يستطيع، وأكمل:

- وكلها كلها دهب
- دهب؟

التفت وليد ونظر إلى الشمس متأملا:

- انت شو عرفك طيب؟
- لكان منين لن كل هَـ المصاري ... ما شفت شو في عندن سيارات؟ ... بعدين أنا شفتها بعيني هي ... مو مصدقني؟

صمت وليد قليلاً، التفت إلى الشمس ثانية، ثم قال محتارا:

- مبلا مصدقك

ثم وقف وقد استوت في رأسه الفكرة:

- طيب شو رأيك بس يجي بكرة نروح نسرقها؟
- بكرة؟!
- ايه بكرة
- ...انت أجدب!
- أجدب؟ ... طيب ليش؟
- يا أجدب بس يجي بكرة بتجي شمس تانية ... وبتروح علينا هي

وقد اتفقا على سرقتها، وعلى تنفيذ العملية مباشرة، لكي يصبحا من الأغنياء وعندهم سيارات. فانتهيا سريعًا من التدخين، ونزلا إلى المطبخ، حيث صعد عماد إلى السقيفة وتناول أكبر سلة يمكن أن تتسع لشمس، ثم انطلقا في الحواري إلى جنينة بيت الخطيب وهما يفكران بالذهب والأموال والسيارات.

بيت الخطيب بعيدٌ جدًّا، وعليهما أن يمشيا بأسرع ما يمكنها لأن الشمس تهبط بسرعة أيضا، ولم يكادا يتجاوزان الحارة الثانية حتى توقفا لأن أولادًا يلعبون بالفوتبول اعترضوا طريقهم، كانوا بحاجة للاعبين، اقترب زعيمهم من عماد، ونظر إليه باستخفاف وتحدٍّ.
- تتحدوا؟!
نظر عماد إلى وليد مشاورًا، ثم اتخذ القرار من دون أن ينتظر جوابا:
- إيه.. منتحدا

لم يستطيعا رفض التحدي ولا مقاومة إغراء اللعب، وضعا السلة بالقرب من الحائط، ونزلا إلى المباراة وراحا يلعبان.

انتظرتهما الشمس طويلا حتى تخلص هذه المباراة الحامية، لكن ظهر أن حرارة اللعبة العالية إغلا من الشمس ومن الذهب ومن السيارات، فاضطرت للنُّزُول في بيت الخطيب حزينة و بسرعة جاء الليل.